تمهيد[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسَّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد ...

إن القرآن الكريم شامل جامع لكل ما يتعلق بهذه الحياة ومن فيها وما فيها من كائنات، فلكل أمة أدب يعبر عن عقيدتها، ونظام حياتها، وطريقة تفكيرها، وآلامها، وآمالها، وطموحاتها،وانجازاتها. وقد حبا الله الأمة الإسلامية منهجاً ربانياً تستقي منه أسساً وقواعد لفكرها وأدبها يمثل نظرة الإسلام للخالق جل شأنه والإنسان والكون والحياة.وهي نظرة شاملة لشمولية الإسلام؛ إذ شمل جميع نواحي الحياتين الدنيوية والأخروية،ولم يترك أمراً في حياة الإنسان إلاّ ونظمه.متوازنة لتوازن نظرة الإسلام للإنسان -هذه النظرة التي جمعت بين المادة والروح -، وبتوازن نظم الحياتين الدنيوية والأخروية، وبتوازن نظم الكون فلا خلل فيها، سامية بسمو الإسلام بالنفس الإنسانية وعواطفها إلى مراتب عليا من الطهر والعفاف، دون أن يجردها من روحانيتها أو ماديتها بتنظيمها وتوجيهها الوجهة الصحيحة دون أن تنحرف أو تفقد صفتها الإنسانية. و هي نظرة جمالية في المضمون والشكل معا تستمد جمالها من جمال الكون وإبداع خلقه الذي يفجر طاقات الإبداع فيها،ومن نظرة الإسلام للجمال الذي شمل الإنسان والحياة وكل ما في هذا الكون. إنسانية لإنسانية الإسلام الذي احترم

(١) هذه محاضرة ألقيت ضمن فعاليات مهرجان المدينة المنورة الثقافي يوم السبت الموافق ١٤٢٠/٣/٥هـ.

حقوق الإنسان فكرمه، وصان جميع حقوقه بتشريعات عادلة يعجز الخلق أجمعين عن الإتيان بمثلها أو استيعاب دقائقها، كما نظم علاقاته بالأمم ذات الديانات الأخرى

إنَّ المتتبع للحركة الأدبية في عالمنا العربي منذ أواخر القرن الثامن عشر سنة ١٧٧٨م أي منذ حملة نابليون بونابرت على مصر حتى وقتنا الراهن يجد أنَّها قد تأثرت تأثيراً جد كبير وواضح بالمذاهب الغربية الحديثة، إذ نجد معظم الأدباء العرب قد تبنوا الوجودية الملحدة والفرويدية مثل الأستاذ إحسان عبد القدوس، والدكتورة نوال السعدواي، والشاعرين نزار قباني، وأدونيس، وغيرهما، والبرناسية "مذهب الفن للفن" مثل معظم الأدباء والشعراء، والكلاسيكية الإغريقية مثل الأستاذ توفيق الحكيم، وشعراء الحداثة مثل أدونيس، وصلاح عبد الصبور ، والرومانسية المسيحية والواقعية الغربية الحديثة بكل أنواعها وأشكالها كالواقعية الاشتراكية والماركسية مثل الأستاذ نجيب محفوظ، والشاعر عبد الوهاب البياتي وبدر شاكر السيَّاب وغيرهم، فأصبح الأدب العربي في بعضه أدباً ماركسياً ملحداً، وفي بعضه الآخر وثنياً، وفي بعضه الثالث أدباً جنسياً إباحياً، وهناك من الأدباء من صبغوا أدبهم الصبغة الإسلامية، وأخذوا يتحدثون باسم الإسلام، وهم في حقيقة الأمر يسددون له الطعنات تلو الطعنات مثل الدكتور طه حسين، والأستاذ توفيق الحكيم.

ومن المؤلم أنَّ ممثلي هذه الاتجاهات والمذاهب هم من رواد الأدب العربي مثل الأساتذة توفيق الحكيم ونجيب محفوظ، وأنيس منصور، وإحسان عبد القدوس، وصلاح عبد الصبور، وأمل دنقل، وأدونيس، وعبد الوهاب البياتي، وبدر شاكر السيَّاب والدكتور طه حسين، والدكتور يوسف إدريس وغيرهم كثير.

هذا وقد تتلمذ الأدباء الشبَّان على أيدي هؤلاء الذين كانوا لهم القدوة والمثل الأعلى، ولعل هذا يفسر لنا إشادة صحفنا ومجلاتنا بهؤلاء الرواد، وإجراء الأحاديث والمقابلات معهم، والتسابق في نشر مقالاتهم وأخبارهم وأقوالهم، وهناك من الأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية من استضاف بعضهم لإلقاء المحاضرات، وإقامة الأمسيات الشعرية والقصصية، ولهذا فنحن نلمس في أدب الغالبية من أدبائنا الشبان تسرب المذاهب الأدبية الغربية في كتاباتهم، كما نلمس بوضوح تحمس الكثيرين للحداثة رغم وثنيتها وإلحادها وسرياليتها الحادة الغارقة في اللاوعي، بل نلمس دفاعهم المستميت عنها، وكأنَّها الدين والمذهب الذي يجب الدفاع عنه، في الوقت الذي يسكتون عمَّا يوجهه الحداثيون أنفسهم من طعنات للدين الإسلامي، بل نجد الكثيرين قد تجاهلوا الدين وأبعدوه عن النقد والتقويم، إذ سلَّطت معظم الملحقات والصفحات الأدبية في صحفنا ومجلاتنا على شعراء الحداثة، وخصصت لهم الصفحات والدراسات، وصار شعراء الحداثة يمثلوننا في المهرجانات الأدبية التي تُقام في بعض البلاد العربية، وكأنَّه لا يوجد من الشعراء السعوديين سواهم.

ونحن لو نظرنا إلى حركة الحداثة في عالمنا العربي بصورة عامة، وفي المملكة العربية السعودية بصورة خاصة نجدها للأسف الشديد قد تأثرت بحداثة أدونيس وصلاح عبد الصبور، وأمل دنقل، والسيَّاب، والبيَّاتي، ويوسف خال، وغيرهم ممن يقطر شعرهم إلحاداً ووثنية وإباحية، ممَّا يجعلني أقول إنَّ الحركة الأدبية في عالمنا العربي في حاجة ماسة إلى تصحيح وتقويم؛ إذ أضحى إنتاجها في العقدين الأخيرين ينذر بخطر كبير يهدد سلامة البناء الفكري للإنسان العربي المسلم شاملاً الإنسان السعودي؛ إذ ظهرت فيه بوادر الغزو الفكري بشكل لا يمكن تجاهله، أو غض البصر عنه.

فقد غدا أدب الأمة الإسلامية، ولا سيما المعاصر منه يحتوى على عقائد مختلفة ومذاهب شتى بتأثير الأمم الأخرى المعادية للإسلام والتي تستهدف الإسلام وسلخ الإنسان المسلم من عقيدته، وسلبه شخصيته الإسلامية باسم الفن والأدب،حتى استحدثت مذهباً أدبياً جديداً هو "مذهب الفن للفن "، هذا المذهب الذي يفصل الأديب عن عقيدته وقيمها ومبادئها ويبيح له كل شيء باسم الفن والأدب، فيتجرأ على الذات الإلهية، ويمجد الوثنية ويعظم آلهتها، وينال من عصمة الأنبياء، ويدعو إلى الإباحية والمجون تحت ذاك الشعار، شعار "الفن للفن".

فكان من الضروري بمكان تنقية هذا الأدب مما علق به من شوائب الإلحاد والوثنية والإباحية، وتحديد خصائصه، وتوضيح معالمه، ووضع أسس لتقويمه من منظور إسلامي.

وما أقدمتُ على كتابة هذه الدراسة إلاَّ لأركز على الجانب الإيجابي في الحركة الأدبية في عالمنا العربي، وفي السعودية على وجه الخصوص من خلال دراسة لشعر الشاعر الإسلامي عبد الرحمن العشماوي وفق نظرية التصور الإسلامي في النقد الأدبي، وذلك لاعتماد نظرية التصور الإسلامي في النقد الأدبي في الدراسات النقدية الأدبية من جهة، ولإبراز شعر هذا الشاعر الذي ولد شعره عملاقاً من جهة أخرى، لدعوة شبابنا ممن يمتلكون موهبة الشعر السير على نهجه؛ إذ جعل من التصور الإسلامي للخالق جل شأنه، وللإنسان والكون والحياة قاعدة ومنهجاً، فكانت له شخصيته الإسلامية المتميزة، وجاء شعره يعبق بشذا الإيمان، ويمتلئ برحبات الإبداع، وينبض بالطهر والعفاف.

مصادر دراسة شعر العشماوي:

دراسة شعر الشاعر عبد الرحمن العشماوي قمتُ بها في شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٧هـ، وأضفتُ إليها فصولاً جديدة في أواخر عام ١٤٢٣هـ وهي أول دراسة نقدية لشعر الأستاذ العشماوي، ولذا فقد استندت الدراسة على دووين العشماوي التالية:

١- "**بائعة الريحان**"، وفيه وصفاً دقيقاً لبيوت قريته، ممَّا تتكون؟، وكيف تبنى؟ ونظام الحياة فيها.

٢- "**إلى حواء**"، ومنه عرفنا أنَّه نشأ يتيماً، وأنَّ أمه عكفت على تربيته هو، وإخوته، وقد ضحَّت بالكثير من أجلهم، ومنه عرفنا أيضاً نظرته إلى المرأة.

٣، ٤ - "**صراع مع النفس**"، و" **حوار فوق شراع الزمن**" ومنهما تبين لنا مدى عمق إيمانه، وصدق عقيدته.

٥، ٦ _ "**إلى أمتي** "، و " **وقصائد إلى لبنان**" لقد كشف لنا وطنيته حزنه على ما آلت إليه أمة الإسلام.

٧- "**مأساة التاريخ**" كشف لنا عن عمق ثقافته الإسلامية، وعلى مدى قدرته على كتابة المسرحية الشعرية.

٨ - "**شُموخ في زمن الانكسار**" يمثل تفاعله مع القضية الفلسطينية والانتفاضة، وأطفال الحجارة.

٩ - **مراكب ذكرياتي.**

١٠- **عندما يئن العفاف.**

هذا وقد وجدتُ في هذه الدواوين مادة كاملة متكاملة تعطي الباحث المادة التي يريدها؛ إذ وجدتُ شعره مرآة صادقة تعكس لنا بوضوح نشأته وطفولته، والعوامل المكونة لشخصيته، ولعقيدته ولثقافته وفلسفته في الحياة ونظرته لها وللكون والإنسان، كما تعكس بوضوح ما يرمي إليه، والأكثر من هذا أنَّ من دواوين شعره عرفنا تاريخ مولده، والقرية التي ولد فيها، بل عرفنا بيوت هذه القرية وأسواقها، وحياة الناس فيها.

ويرجع وضوح هذه الصور إلى ارتكازه على قاعدة سليمة لا لبس فيها ولا غموض، ولا تناقض فيها ولا تنافر، وهي قاعدة التصور الإسلامي التي مكَّنتنا بكل سهولة، وبدون كبير عناء من استشفاف ما بداخله، وما يهدف إليه هذا الشاعر المسلم الإنسان.